

## 11 - السيدة ربيعة الأنصارية



### المبايعة الأنصارية

اسمها ربيعة الأنصارية، ويقال لها ربيعة الأسلمية، وقد ورد اسمها على لسان رسول الله ﷺ يوم الخندق.

كانت واحدة من فواضل نساء الأنصار الذين قال عنهم رسول الله ﷺ فيما حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُذْرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْنِي، وَالنَّاسُ سَيَكْفُرُونَ وَيَقْتُلُونَ فَأَقْبِلُوا مِنْ مُخْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»<sup>(1)</sup>.

أسلمت ربيعة رضي الله عنها في مسجد رسول الله ﷺ وبين يديه وكانت بين النسوة اللاتي بايعن رسول الله ﷺ على طاعة الله وطاعته، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ بَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ [المتحنة: 12]، وشرط رسول الله ﷺ عليهن فقال: «وَلَا تَغْشُسْنَ أَزْوَاجَكُنَّ»، فبايعته على ذلك ثم انصرفن.

وروى الإمام أحمد قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلِيطُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنِ أُمِّهِ، عَنِ سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ إِحْدَى خَالَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَدْ صَلَّتْ مَعَهُ

(1) رواه: البخاري/كتاب: المناقب/باب: قول النبي ﷺ: «أَقْبِلُوا مِنْ مُخْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»/برقم: (3517).

الْقِبْلَتَيْنِ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَتْ: جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْتُهُ، فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِي وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، قَالَ: «وَلَا تَغْشُسْنَ أَرْوَاجِكُنَّ».

قَالَتْ: فَبَايَعْتَاهُ ثُمَّ انْصَرَفْنَا، فَقُلْتُ لَامْرَأَةٍ مِنْهُنَّ: ازْجِعِي، فَنَسَأَلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَا غِشُّ أَرْوَاجِنَا؟ قَالَتْ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ»<sup>(1)</sup> (2).

### المعرضة المجاهدة

ولما انتهت ربيعة رضي الله عنها من بيعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلان إسلامها اختارت لها عملاً خيراً نبيلاً، حين وقفت نفسها على خدمة جرحى المسلمين وتمريضهم، وهل هناك أسمى من تقديم يد العون والمساعدة إلى مريض عاجز عن تدبير شؤون نفسه، أو جريح بذل دمه في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا؟.

إن ما يريده الجريح وهو يكابد الألم والأين، وربما كان يقترب من عالم الأموات، أن يسمع كلمة مواساة طيبة، تخفف آلامه، وتبعث في نفسه الأمل في الشفاء، ليعود إلى ممارسة حياته السالفة بهمة ونشاط، وليتابع رسالته في خدمة أهله وذويه، وقيامه بواجبه تجاه دينه.

كانت ربيعة تمثل دور الملاك الوديع الذي يحمل الرحمة والعطف والحنان، إلى كل جريح اضطرته جراحه أن يلازم الفراش.

### غزوة الخندق

وكان لها يوم الخندق ذلك الدور الإنساني، لقد حزبت قريش

(1) تحابي به غيره: أي تهادي بماله غيره.

(2) رواه: أحمد/كتاب بائي مسند الأنصار:/باب: حديث سلمى بنت قيس/برقم:

الأحزاب، وجيشت الجيوش في ذلك اليوم، تريد بذلك النيل من المسلمين، ولكن الله وعد رسوله ﷺ والمؤمنين بنصره، وأمدهم بجنده، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد سجل القرآن الكريم ما جرى يوم الخندق، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: 9 - 11].

إن الريح بعض جند الله، فأرسلها إلى المشركين من قريش ومن الاهم، وأغراها بهم في ذلك اليوم المشهود فكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، وهدمت بنيانهم، ورأوا أنهم قد أسقط في أيديهم، وأحيط بهم، حتى لم يعودوا يدرون ما يفعلون، لقد قدروا أنهم قادرون على مناجزة جنود من أهل الأرض، ولكن لا قبل لهم بالصمود أمام جند السماء.

وها هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يحدثنا عن ذلك اليوم فيما رواه الإمام أحمد عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: قَالَ فَتَى مِثًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحْبَتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا ابْنَ أَخِي قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ قَالَ: وَاللَّهِ، لَوْ أَدْرَكْنَا مَا تَرَكَنَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَلَجَعَلْنَا عَلَى أَعْنَاقِنَا.

قَالَ: فَقَالَ حُدَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا، ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ؟ يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ؟ يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»، فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبُرْدِ.

فَلَمَّا لَمْ يَنْجُ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «يَا حُدَيْفَةُ، فَادْهَبْ، فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، فَانظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا». قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيْحُ وَجُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لَا تَقْرَأُ لَهُمْ قِدْرٌ وَلَا نَارٌ وَلَا بِنَاءٌ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مِنْ جَلِيسِهِ؟ فَقَالَ حُدَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَضْبَحْتُمْ بِدَارِ مَقَامِ، لَقَدْ هَلَكَ الْكِرَاعُ، وَأَخْلَقْتُنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، بَلَعْنَا مِنْهُمْ الَّذِي نَكَرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيْحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ... ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ، فَوَتِبَ عَلَيَّ ثَلَاثٌ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُحَدِّثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي» وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حُدَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِيَعْضِ نِسَائِهِ مُرْحَلٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَذْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرْفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْحَبِيرَ. وَسَمِعْتُ عَطْفَانَ بِمَا فَعَلْتُ قُرَيْشٌ، وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ / برقم: (22244).

أَرْضَهُمْ وَدِيرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٧﴾  
[الأحزاب: 25 - 27].

وكانت رفيده قد اتخذت لها خيمة قريبة من الخندق، ولما أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له: ابن العرقعة، رماه في الأكلح، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح فاعتسل، فاتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من العبار، فقال: «وضعت السلاح؟ والله ما وضعتاه، اخرج إليهم» فقال رسول الله ﷺ: «فأين؟» فأشار إلى بني قريظة. فقالت لهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد، قال: «فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبي الذرية والنساء، وتقسم أموالهم»، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله ﷻ» (1).

وقد روى ذلك الإمام أحمد بتفصيل عن علقمة بن وقاص قال: أخبرني عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أفقوا آثار الناس، قالت: فسمعت وبيد الأرض ورأيي - يعني: حس الأرض - قالت: قالت، فإذا أنا بسعد ابن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجته، قالت: فجلست إلى الأرض فمر سعد وعليه دزغ من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فمر وهو يرتجز، ويقول:

لَيْتَ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جَمَلٍ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ  
قَالَتْ: فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةَ فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِذَا فِيهِمْ

(1) رواه: مسلم/كتاب: الجهاد والسير/باب: جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال القوم من الحصن/برقم: (3315).

عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ سَبْعَةٌ لَهُ - يَعْنِي : مِغْفَرًا - فَقَالَ عَمْرُ : مَا جَاءَ بِكَ؟ لَعَمْرِي وَاللَّهِ إِنَّكَ لَجَرِيئَةٌ، وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَكُونَ بَلَاءٌ أَوْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ، قَالَتْ : فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَثَّيْتُ أَنْ الْأَرْضَ انشَقَّتْ لِي سَاعَتِيذِ فَدَخَلْتُ فِيهَا، قَالَتْ : فَرَفَعَ الرَّجُلُ السَّبْعَةَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ : يَا عَمْرُ، وَيْحَكَ! إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ أَوْ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ﷻ؟ .

قَالَتْ : وَيَزِمُنِي سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ، فَدَعَا اللَّهُ ﷻ سَعْدًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ، قَالَتْ : وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَتْ : فَرَقَى كَلْمَهُ .

وَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَكَفَى اللَّهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ ﷻ قَوِيًّا عَزِيزًا، فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ وَمَنْ مَعَهُ بِبَنَدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ فَتَحَصَّنُوا فِي صَيَاصِيهِمْ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَضَعَ السَّلَاحَ، وَأَمَرَ بِقَبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَضَرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَقَامَتْ رُقَيْدَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ بِتَمْرِئِضِهِ .

قَالَتْ : فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَإِنَّ عَلَى ثَنَائِيهِ لَتَفْعُ الْعُبَارِ، فَقَالَ : «أَقْدَ وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْتَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدُ السَّلَاحَ، أَخْرَجَ إِلَيَّ بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ» قَالَتْ : فَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ لِأُمَّتِهِ<sup>(1)</sup> . وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّجِيلِ أَنْ يَخْرُجُوا، ثُمَّ أَمَرَ مَنَادِيَهُ أَنْ ينادي : «إِنْ مِنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يَصِلِينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»<sup>(2)</sup> .

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ فَمَرَّ عَلَى بَنِي عَنَمٍ، وَهُمْ جِيرَانُ الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ،

(1) اللأمة : سلاح الحرب .

(2) زيادة من تاريخ الطبري (581/2) .

فَقَالَ: «مَنْ مَرَّ بِكُمْ؟» فَقَالُوا: «مَرَّ بِنَا دِخِيَةُ الْكَلْبِيُّ» وَكَانَ دِخِيَةُ الْكَلْبِيُّ تُشْبِهُ لِحْيَتَهُ وَسِنُّهُ وَوَجْهَهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَتْ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَضْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ، قِيلَ لَهُمْ: انزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبِيحُ، قَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» فَتَزَلُّوا.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَعْضَ قَوْمِهِ لِيَأْتُوهُ بِهِ مِنْ خِيَمَةِ رُقَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ، فَأَتَى بِهِ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لَيْفٍ قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ وَحَفٌّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلْفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النُّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، قَالَتْ: وَأَنْتَى لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَقِثُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ انْتَقَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: قَدْ أَنْ لِي أَنْ لَا أَبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تَلِي.

قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَوْمُوا إِلَيَّ سَيِّدِكُمْ، فَأَنْزِلُوهُ» فَقَالَ عُمَرُ: سَيِّدَنَا اللَّهُ ﷻ، قَالَ: «انزِلُوهُ» فَأَنْزِلُوهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْكُمْ فِيهِمْ» قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مَقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسَبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ وَحُكْمِ رَسُولِهِ».

وفي رواية أنه قال له: «يا سعد، والذي نفس محمد بيده لقد حكمت فيهم بحكم الله ﷻ من فوق سبعة أزرعة»<sup>(1)</sup>.

قَالَتْ: ثُمَّ دَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ مِنْ حَرْبٍ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتُ قَطَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَأَقِضْنِي

(1) أزرعة: جمع ربيع، وهو السماء.

إِلَيْكَ، قَالَتْ: فَانْفَجَرَ كَلِمُهُ وَكَانَ قَدْ بَرِيَ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ  
الْحُرْصِ<sup>(1)</sup>، وَرَجَعَ إِلَى قُبَيْتِهِ الَّتِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ:  
فَحَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ  
إِنِّي لَأَعْرِفُ بُكَاءَ عُمَرَ مِنْ بُكَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَكَانُوا كَمَا قَالَ  
اللَّهُ ﷻ: ﴿رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْهَمُهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي  
وُجُوهِهِمْ مِنْ أُنْثَى السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: 29].

قَالَ عَلْقَمَةُ: قُلْتُ: أَيُّ أُمَّةٍ، فَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ؟ قَالَتْ:  
كَانَتْ عَيْنُهُ لَا تَدْمَعُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا وَجِدَ فَإِنَّمَا هُوَ آخِذٌ بِلِخِيَّتِهِ<sup>(2)</sup>.

لقد قال رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوا سَعْدًا فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ الَّتِي فِي  
الْمَسْجِدِ حَتَّى أَعُوذَ مِنْ قَرْنِبٍ» وقامت ربيعة بتمريض سعد، وبذلت كل ما  
في وسعها في رعايته، وتخفيف آلامه وكانت تمتلئ بالغبطة وهي ترى رسول  
الله ﷺ يدخل خيمتها في الصباح ليعود سعداً، ويقول له: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا  
سَعْدُ؟»، وفي المساء ليقول له: «كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَا سَعْدُ؟»، ويرد سعد بقوله:  
الحمد لله، بخير يا رسول الله.

لقد مكَّنها عملها النبيل من أن تكتحل عينها مرتين كل يوم بطلعة خير  
البرية، ورسول الإنسانية، عليه أذكى تحية.

ولم تكن ربيعة تبتغي من عملها ثناءً أو شكوراً من أحد، لأنها موقنة  
بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وكان يكفيها من جرحاها ومرضاها أن  
ترى البسمة فوق شفاههم لتشعر بأنها أدَّت واجبها تجاههم على الوجه  
الأكمل، ولم تقصُر في خدمتهم.

(1) الفائق (1/335)، والحرص: حلقة القِرط.

(2) رواه: الإمام أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: باقي السند السابق/برقم:

وروى البخاري عن عائشة قالت: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قَبْلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْدُو جُرْحُهُ دَمًا فَمَاتَ فِيهَا<sup>(1)</sup> رحمه الله وأحسن إليه وجعل الجنة مستقره .

وظلت رفيدة تؤدّي واجبها الإنساني النبيل حتى وافاها الأجل، رحمها الله تعالى، ورضي عنها.



(1) رواه: البخاري/كتاب: الصلاة/باب: الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم/برقم: (443).